المقتطف

الجزء التاسع من المجلد التاسع والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٤ — الموافق ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٣٢٢

نساء اليابان

من الاقوال المأثورة عند الاوربيين قولهم باللغة الفرنسوية Cherchez la femme وترجمتهُ فتش عن المرأة يريدون بهِ انها علة كل الشرور او انها علة كل الحوادث من غير تخصيص. ومعلوم انهُ لايحدث حادث مهمٌّ للناس يد فيهِ الاَّ ويكون سببهُ الرجال او النساء فلا عجب اذا كان لهنَّ يد في نصف الحوادث الاَّ ان اثرة الرجال تجعلهم يحسبون ان لهم اليد الطولى في كل الاعمال فاذا رأوا للنساء يدًا فيها استغربوا الامر واكبروهُ واشاروا اليهِ

ومعلوم انهُ اذا حدثت الحوادث الغريبة جعل الناس يفتشون عن اسبابها واغرب حوادث هذا العام بل اغرب الحوادث التي مرَّت منذ اعوام كثيرة الى الآن ظهور دولة اليابان في مظهر دولة حربية من الطبقة الاولى برًّا وبحرًا وظهورها هذا ادهش اوربا كلها حتى انكلترا وهي اعلم بها من سائر الدول. والناس يبحثون الآن عن سبب هذا النجاح الفائق والفوز الباهر الذي فازت بهِ اليابان على دولة الروس. فنشرنا في الجزء الماضي من المقتطف مقالة مسهبة ظهر منها بأجلى بيان ان في طبع اليابانيين خلقين راسخين وهما حب الوطن والاستبسال في سبيلهِ وقد عثرنا الآن على سبب آخر يُعدُّ من دعائم الشجاعة والجرأة اللتين ابداهما اليابانيون في هذه الحرب وفي تأهبهم لها. وهو ان نساء فريق كبير منهم وهو الفريق الحربي يتقلدن الاسلحة ويحاربن كالرجال وهذا شأنهنَّ من قديم الزمان فلا عجب اذا وُلد اولادهنَّ والشجاعة والبسالة من اخلاقهم لانهم يرثون الشجاعة من ابائهم ومن امهاتهم "والعرق دساس من الطرفين" والاَّ فلو كان آباؤهم اهل شجاعة ونجدة وامهاتهم قعيدات ضعيفات لاهمَّ لهنَّ الاَّ ولادة الاولاد وادارة البيت والتجلي والتجمل لضعفت اخلاق الآباء بما تمتزج بهِ من اخلاق الامهات وجاء اولادهم بين بين او لم يفق الابناء ما كان عليهِ الآباء. اما والنساء كالرجال في البسالة وإباءة

الضيم ورباطة الجاش فلابد من ان ترسخ هذه الاخلاق في النسل وتقوى فيه رويدًا رويدًا

والمرأة في اليابان كالمرأة في كل البلاد الشرقية مطيعة لزوجها وحميها وحماتها تعمل اعمال البيت كلها من غير تذمر تطبخ وتغسل وتبتاع الاطعمة وتخدم اباها وامها ثم تخدم زوجها واباه وامه من غير تذمر. ولا يعفى من هذه الاعمال الا بنات الكبراء الاغنياء الذين عندهم كثير من الخدم والحشم وابو الابنة هو الذي يختار لها الزوج حالما تبلغ سن الزواج وهي تعلم ذلك وتحسب انهُ امر محتوم فلا تنتظر سواهُ وحينما تتزوج تسكن هي وزوجها في بيت ابيهِ ولا يصير لها بيت خاص بها الا بعد موت حميها وحماتها وتكون قد اكتهلت حينئذٍ وقام بناتها وكنائنها على خدمتها كما كانت هي قائمة على خدمة امها وحماتها . ومقام الزوج اعلى من مقام الزوجة ولكن ادارة البيت في يدها لا في يدهِ فتنهض قبلهُ في الصباح وتطفئ المصباح الذي يكون موقدًا الليل كلهُ وتغسل وجهها وترتب شعرها وتلبس ثيابها وتُلبس اولادها وتوقظ خدمها وتساعدهم في اعداد الفطور ثم توقظ زوجها وتلازمهُ الى ان يخرج من البيت فتخرج معهُ الى الباب وتسلمهُ عصاهُ او مظلتهُ او كتابهُ

والغالب ان تبدو عليها آثار الشيخوخة وهي كهلة لكنها ترحب بها ولا تحاول اخفاءها فتقص شعرها وتلبس ثيابها على اسلوب يظهر بهِ عمرها حسب مصطلحات اليابانيين وتكون قد زوَّجت ابناءها وصارت حماة وقامت كنائنها على خدمتها فتحتمت بالراحة والاكرام

وليس في ذلك كلهِ ما تمتاز بهِ المرأة اليابانية على اكثر نساء المشرق ولو لم يتصل بنا من امر نساء اليابان غيرهُ لما وجدنا سبيلاً للتنويهِ بذكرهنَّ ولكننا نجد في تضاعيف ما ينشرهُ الثقات عن اليابانيات في هذا العصر ثلاثة امور حرية بالذكر لان لها شأنًا كبيرًا في ارتقاء اليابان

الامر الاول عدم تقيُّد اليابانيات بالعادات. خذ مثالاً لذلك مسألة اللباس فان لباس النساء في اليابان مثل لباسهنَّ في اكثر بلدان الشرق فلما اقتبس رجال اليابان الازياء الاوربية تبعهم نساؤهم ولا سيما نساء الكبراء حتى اذا اجتمعن معهم في المنتديات والحفلات لا يكون فرق ظاهر بين الاوربيات واليابانيات. ولا ينظر الاوربيات شزرًا الى اخواتهنَّ اليابانيات كما ينظر الانسان عادة الى من يراهُ مرتديًا ثيابًا دون ثيابهِ ولا يشعر اليابانيات انهنَّ دون الاوربيات في مجاراة ازياء العصر. وقدوتهنَّ في ذلك امبراطورة اليابان كما ترى من صورتها في مقالة اخرى من هذا الجزء فانها تظهر فيها كملكات اوربا في حللهنَّ وهي تحضر الحفلات الرسمية وتقابل النساء والرجال كما يقابلنهم ملكات اوربا. وبلاد لا يرى رجالها ونساؤها عارًا في التمثل بالمفلحين من البشر بل يرون في ذلك عين الصواب لحريَّة بان تتمثل بالمفلحين في كل

شيء. وازن بين ذلك وبين ما يفعله اهالي كوريا فان المرأة لا تزال عندهم اسيرة متحجبة لا تخرج من بيتها مطلقاً بل تدفن فيهِ دفناً مدى العمر ورجالهم لم يغيروا ازياءهم حتى ملكهم لا يزال في زيهِ القديم كما ترى في مقالة اخرى من هذا الجزء . وتدل هيئتهُ على تمام السكينة والوقار كأنهُ زاهد من الزهاد بخلاف امبراطور اليابان فانهُ قلما يرى الاَّ باللباس العسكري كما ترى في صورتهِ في المقالة التالية وهي منقولة اصلاً عن صورة فوتوغرافية. ولا يخفى ان قواد اليابان وجنودها لابسون كلهم اللباس الاوربي كما ان بوارجهم ومدافعهم وبنادقهم وحركاتهم العسكرية وكل لوازم الحرب برًّا وبحرًا جارية على الاساليب الاوربية وعلى احدثها بل ان بنادقهم وبارودهم وبعض اساليبهم فاقوا بها ما عند الاوربيين والاميركيين

والامر الثاني استبسال اليابانيات فبينا ترى المصريات مثلاً يبكين ويولولن اذا أُخذ اولادهن او ازواجهن للخدمة العسكرية ترى اليابانيات يحسبن الخدمة العسكرية اشرف عمل لاولادهن وازواجهن ويتباهين بمن يقتل في الذود عن وطنهِ ويفضلن من مات قتلاً على من مات حتف انفهِ كانهن يردن قول السموأل الذي كان يفتخر بقولهِ

وما مات منا سيدٌ حتف انفهِ ولا طُلَّ يومًا حيث مات قتيلُ
تسيل على حد الظبات نفوسنا وليس على غير الظبات تسيلُ

قيل انهُ لما نشبت الحرب البحرية بين الصين واليابان كان في احدى السفن اليابانية ربَّان اسمهُ سكاموتو فقتل فيها مع من قُتل وأُرسل نعيهُ الى بيتهِ ولما وصل الناعي رأى ام القتيل واخبرها بما جرى فنظرت اليهِ والعظمة وعزَّة النفس ملء عطفيها وقالت لهُ " اذًا قد خدم ابني وطنهُ بدمهِ فاحسن عملاً "

وامرأة اخرى مضى زوجها الى تلك الحرب وهي شابة في العشرين من عمرها وجاءها نعيهُ بعد قليل فصرفت خدمها من بيتها وكتبت الى اصدقائها تودعهم ولبست حلَّة عرسها وركعت امام صورة زوجها وطعنت صدرها بخنجر لكي تلحق بهِ في اقرب وقت . والانتحار شائع في بلاد اليابان لاينظر اليهِ بالازدراء ولا يؤتى خوفاً من المكاره بل محوًا للعار او رغبة في اختصار السبيل الى الآخرة

والثالث اعتياد نساء الجنود حمل السلاح واستعمالهُ . والجنود فريق كبير من اليابانيين وكان نساؤهم يقمن مقامهم اذا غابوا عن اوطانهم في حماية قصور اسيادهم زمن الحكم الاقطاعي ولا تزال الاخلاق العسكرية راسخة في كثيرات من نساء اليابان ولذلك شأن كبير في ما يرى من البسالة في اخلاق الامَّة اليابانية كما تقدم